القلعة البيضاء

مريم العريفي

مرحباً، أنا مارك فيكتور، لم أكن أُريد أن أكتب هذا ولكن يجب أن يعلم الجميع بما حدث معي ومع زوجتي العزيزة (چولّيا)؟ وماذا حدث معي في نهاية المطاف؟ أنا أعلم أنكم تتساءلون ماذا حدث؟ ولماذا أتحدث هكذا؟ جواب الأسئلة بين السطور القادمة والتي سأقوم بكتابتها الآن، ولكن دعوني آخذ الحذر وأتأكد أن لا أحد يراقبني الآن، لقد نظرت إلى الباب جيدًا ولم يكن أحد خلف الباب من جن أو إنس، نعم يوجد في هذا الخان جميع المخلوقات الغريبة ومنهم البشر، لا تستعجلوا لمعرفة السبب الذي يجعلني أكتب هذه الكلمات في سرية تامة، سأكتب الآن ماذا حدث منذ البداية، وما هي الغرفة المقفولة؟ وما هي القلعة البيضاء؟

(الفصل الأول) منزل جديد

في الساعة الخامسة والنصف صباحًا، أتيت أنا وزوجتي إلى منزلٍ جديدٍ لسبب ما بين الأسرتين؛ تركنا الجميع عندما أدركنا أن العلاقة بين زوجتي العزيزة وبيني تتدهور مع مرور الأيام الماضية، لذلك أخذنا هذا المنزل القديم، أنا أقول لكم إن المنزل قديم ولكن زوجتي تقول غير ذلك، فلا فرق إن كان قديمًا أو جديدًا، إنها معي وهذا يجعل كل شيء مميز وجميل، تركت زوجتي بجوار النافورة التي تحب أن تجلس بجانبها، إنها تستمتع بالجلوس هناك، ذهبت إلى غرفة قديمة مازالت مقفولةً بشدة لا أستطيع أن أدخلها ولا أحد يعلم لماذا؟ حاولت مراراً وتكراراً أن أقوم بفتحها ولكن فشلت، جاءت زوجتي في ذلك الوقت كي أقوم بمساعدتها في نقل الصناديق التي بداخلها مستلزمات الحيوانات الأليفة التي نقوم بتربيتها، نظرت إليَّ ثم أردفت بكل ذهول:

- لقد نسيت أشياء كثيرةً في منزلنا القديم مارك.

نظرت إليها قائلًا بكل غرور:

- حبيبتي لا داعي لكل الأشياء تلك سنرحل خلال أيام لا داعي.

نظرت إليَّ قائلةً غامزةً:

- لا تقول هذا يا مارك، أنا أعشق المنازل القديمة ولا أريد الرحيل، لقد سئمت من المشكلات التي تحدث مع العائلة أريد الابتعاد عن ذلك.

ابتسمت إليها قائلًا:

- نعم، لقد سئمت أيضًا. حسنًا، جوليا سننتظر حتى تهدأ الأمور

ابتسمت ثم أردفت:

شكراً مارك، أنا أريد أن نكون كما كنا في السابق

نظرت إليها قائلًا:

لا يستطيعون تدمير علاقتنا حبيبتي استرخي، سأقوم بإدخال الصناديق الباقية ولتأتي خلفي ببعض القطط كي نقوم بإطعامهم والباقي نذهب بهم إلى الغرفة الخارجة

نظرت إليَّ ثم أردفت:

- حسناً مارك

أخذتُ الصناديق وخرجت من الغرفة التي كنا نتحدث بداخلها، حتى وقفت زوجتي وشعرت بفتح شيء ما مثل باب أو شيء، حتى تتبعت الصوت واقتربت أكثر حتى نظرت بجانبها ثم تعجبت كيف حدث هذا!

(الفصل الثاني) أشياء غريبة

نعم لقد قالت لي زوجتي هذا، لا أعلم إن كان هذا غير حقيقي أم أن هذا حدث بالفعل، اقتربت من الصوت الذي كانت تسمعه، كانت تسير وهي تلتفت حول نفسها حتى رأت بعينيها الغرفة التي تم إغلاقها بإحكام وفد فُتح بابها، نظرت بعينيها ثم أردفت:

- كيف؟ من قام بفتح هذا الباب؟

اقتربت من الغرفة ونظرت بداخلها حتى صرخت بصوتٍ عالٍ، لقد رأت الخفافيش تهجم على جسدها وتخرج من النافذة التالية. بعدها سمعت صوتها قد ابتعد عن الغرفة.

- چوليا ماذا حدث لماذا تصرخين؟

أجابت بكل خوفاً:

- مارك الغرفة مليئة بالخفافيش انظر.. انظر هناك

نظرت إلى باب الغرفة المقفولة والتي مازالت مقفولة بشدة حتى قلت لها في تعجب:

- چوليا أين الخفافيش؟ وكيف تعلمين أنها بداخل الباب مغلق حبيبتي؟!

نظرت إلى الغرفة بخوفٍ متشبثة بجسدي حتى أردفت:

- كيف؟! مارك الباب كان مفتوحاً لقد رأيت هذا كيف تقول لي أن الباب مغلق الآن؟

نظرت إليها قائلًا:

- اهدأي چوليا لا يوجد شيء هنا، اهدأي

ثم أردفت:

- حسناً مارك، لكن هل أنت متأكد أن الغرفة بابها مغلق؟

نظرت إليها قائلًا بكل تعجب:

- نعم تأكدت، كل شيء كما هو چوليا، اصعدي إلى الأعلى وعندما أنتهي سأصعد أنا، حسناً هيّا

صعدتْ إلى الأعلى ومازالت تنظر إلى الغرفة، ويتردد ذلك السؤال معها كيف رأت الباب مفتوحاً ورأت الطيور بالداخل؟

صرخت بصوتٍ عالٍ قائلًا:

- أيتها القطط تعالوا هنا!

حتى سمعت صوتًا يردد كلماتي تلك ولكن صوت المرأة التي رددت حديثي كان يختلف عن صوت زوجتي چوليا، لقد نظرت إلى الخلف واليسار واليمين لم أجد المرأة تلك، لا أعلم من هي ولكن مازال صوتها يتردد في أذني.

- لقد أحضرت الطعام أيتها القطط هيّا فلتبدئي بالطعام، وأنا الآن أشعر بالجوع ولا يوجد طعام لي سوف أطلب البيتزا الآن.

أردفت چوليا في صوتٍ عالٍ:

- مارك... مارك

ثم ذهبت إليها مسرعاً حتى وجدتها بداخل المطبخ تقوم بتحضير الطعام والشراب الساخن ثم أردفت:

- لماذا تأخرت؟ الآن عليك المساعدة في تحضير الطعام عقاباً لك

ابتسمتُ إليها قائلًا:

- حسناً هذا من دواعي سروري جوليا

ابتسمت ثم نظرت إليَّ قائلةً:

- أشكرك ولكن ستقوم بتجهيز الطاولة أولاً، وأيضاً والدتي سوف تأتي لتطمئن علينا

نظرت إليها قائلًا بكل غضب:

- حبيبتي لا يوجد مانع أن تأتي والدتك، ولكن نحن ابتعدنا عن الجميع وأنتِ تعلمين ماذا سيحدث بعد مجيء والدتك؟

نظرت إليَّ قائلةً:

- مارك أعلم، ولكن لم أستطع أن أقول لها لا تأتي نحن بخير

نظرت إليها قائلًا:

- حسناً ليحدث ما يحدث وأتمنى أن تأتي بمفردها، سأقوم بتجهيز الطاولة حينما تنتهي .

انقطعت الكهرباء والماء عن المنزل حتى أخذت بعض الشموع بجوار الطاولة كي نستطيع أن نأكل ثم أردفت چوليا:

- لقد تأخرت والدتي أنا خائفة عليها مارك، هل من الممكن أن تتوجه إلى مكان آخر؟ لقد انقطعت الكهرباء ونحن في السابعة مساءً ولا يوجد ضوء في الخارج

نظرت إليها قائلًا:

- لا تخافي ستأتي، الآن لدي فكرة حاولي الاتصال بها في المنزل من الممكن أن تكون فيه ولم تخرج حتى الآن
- حسناً مارك سأذهب إلى الأعلى ولكن أريد الشموع!
- حسناً خذي چوليا

ذهبت زوجتي إلى غرفة النوم كي تقوم بالاتصال بوالدتها ولم يمّر بضع دقائق حتى صرخت بأعلى صوت:

- مارك، مارك!

الفصل الثالث (خيال زوجتي)

صرخت وعندما سمعت صوتها أسرعت إليها قائلًا بكل تعجب:

- چوليا أين أنتِ جوليا، جوليا حبيبتي أين أنتِ؟

شعرت بشخص ما وراء ظهري لم أستطع أن أتحقق منه هل هذه زوجتي چوليا أم شخص آخر، أمسكت بشمعة وبدأت أقربها من وجه هذا الشخص حتى اقتربت أخيراً منه ثم اختفى، صرخت بصوتٍ عالٍ قائلًا:

- چوليا أين أنت؟ چوليا

أردفت من الأسفل قائلةً بكل تعجب:

- مارك أنا هنا بالأسفل، ماذا تفعل هناك؟

سمعت كلماتها التي تعجبت منها حقاً حتى نظرت إليها قائلًا:

- ماذا؟ لماذا تصرخين؟ چوليا لقد خفت عليك كثيراً

نظرت زوجتي إليَّ قائلةً بكل ذهول:

- ماذا صرخت؟! أنا لم أصرخ مارك، لقد ذهبت إلى المطبخ ولم أجدك هناك ولم أجد الهاتف بالأعلى!

نظرتُ إليها قائلًا بكل تعجب:

- چوليا أنتِ لم تصرخي عندما كنتِ بالأعلى؟

نظرت إليَّ قائلةً:

- مارك لقد قلت لك لم أصرخ، أنا جائعة ومن الظاهر أن والدتي لن تأتي دعنا نأكل الآن

لم أتحدث معها وجلست بجوارها وبدأت في الطعام وأنا إلى الآن لم أستوعب ماذا حدث؟ إن كانت چوليا تقول لم أصرخ فمن صرخ بصوتٍ عالٍ قائلًا: مارك !!

نظرتُ إلى زوجتي قائلًا:

- لقد عادت الكهرباء، جيد، چوليا سأذهب إلى الأعلى وسأخلد إلى النوم لا تتأخري

ثم أردفت زوجتي:

- حسناً مارك عندما أنتهي سأصعد، تصبح على خير حبيبي

نظرتُ إليها ولم أتحدث حتى وصلت إلى الغرفة المقفولة وقفت أمام الباب ثم تحدثت:

- ماذا يحدث بداخلك؟ في الصباح الباكر سأقوم بكسر هذا الباب!

لا أعلم لماذا وقفت هناك وتحدثت مع نفسي، ولكن لقد سئمت من تلك الغرفة الغريبة والتي تزال مقفولة! ذهبت إلى غرفتي ووجدت زوجتي جالسة على الأريكة حتى نظرت إليها قائلًا:

- چوليا لم أشعر بكِ وأنتِ تصعدين السلالم حبيبتي؟

لم تتحدث معي حتى قلت كلماتي مرة أخرى:

- چوليا أنا أتحدث معكِ!

تحدثت زوجتي قائلةً بكل غرور:

- لم أصعد على السلالم ماارك !!

تعجبت من حديثها وكيف تغير صوتها هكذا، حتى قلت لها:

- ماذا؟ كيف هذا إذاً كيف وصلتِ إلى الغرفة چوليا؟

ابتسمت بصوتٍ غريب قائلةً:

- أنا لقد كنتُ أطير بالهواء مارك، أنا لا أستطيع الوقوف!

تردد بذهني ذلك السؤال كيف تغير صوتها ولماذا أتحدث هكذا! نظرت إليها قائلًا:

- أنتِ ماذا تقولين؟

حتى وضعت زوجتي چوليا يدها على كتفي قائلةً بكل تعجب:

- مارك مع من تتحدث أنتَ لقد قلت أنكَ ستخلد إلى النوم

لا أعلم ماذا أفعل ولا أستطيع الرد عليها حتى نظرت إليها قائلًا:

- منذ متى وأنتِ هنا؟

قالت لي بكل ثقة:

- لم أكمل دقيقة مارك ماذا حدث معك؟

صمت لم أتحدث معها حتى رأت الساعة وأردفت:

- مارك غداً حاول إصلاح تلك الساعة إنها قديمة قليلاً

نظرتُ إليها قائلًا بكل تعجب:

- حسناً.. حسناً

لم أستطيع أن أخبرها بما حدث معي كي لا تخاف مرة أخرى، ولكن ذهبت في نوم عميق بعد إرهاق شديد.

الفصل الرابع (القطط)

في الصباح الباكر، غسلت وجهي وبدلت ملابسي وذهبت كي أقوم بتجهيز طعام القطط، لكن لم أجد قطةً واحدةً أمام باب الغرفة التي تنام بها، تعجبت ثم ذهبت إلى المطبخ مُناديًا إياهم كي يأتوا إلى الخارج، ولم أجد أي واحدةٍ، أخذت الطعام وذهبت إلى الخارج وإلى الغرفة التي يناموا بها لم أجد أيضاً، صرخت بصوتٍ عالٍ قائلًا:

- أيتها القطط أين أنتم؟ بسبس.. بسبس

لم أجدهم، ذهبت إلى غرفة زوجتي چوليا ونظرت إليها قائلًا:

- چوليا.. چوليا، صباح الخير

نظرت إليَّ قائلةً بكل كسل:

- صباح الخير مارك

ثم قلت لها:

- چوليا أنا لم أجد القطط، أين هم؟ هل رأيتِ أحد منهم أمس؟

نظرت إليَّ قائلةً بكل تعجب:

- لقد تركتهم في الغرفة بعدما أطعمتهم مارك ستجدهم هناك نائمين

تعجبت ثم قلت لها:

- چوليا القطط ليست في المنزل من الظاهر أنهم ذهبوا إلى مكان ما !

أردفت زوجتي بكل غضب:

- ماذا؟ لا تقول هذا يا مارك، نحن قمنا بتربيتهم وهم يخافون من القطط التي بالخارج سأذهب وأُلقي نظرة عليهم

جلست في الغرفة حين ذهبت زوجتي چوليا لتتفقد القطط، ولم يمّر بضع دقائق حتى جاءت إلى الغرفة قائلةً بكل سعادة:

- مارك لماذا تفعل هذا معي؟ هذا المزاح ليس جيدًا حبيبي، كنت تريد مني الاستيقاظ من النوم لو كنت تحدثت معي كنت حينها استيقظت، ولكن تفعل هذا وتقوم بتخويفي على قططي حسناً مارك

نظرتُ إليها قائلًا في تعجب:

- ماذا؟ ماذا تقولين چوليا هل رأيتِ أحد القطط أم لا؟

ابتسمت ثم أردفت:

- حبيبي جميعهم بالأسفل، كانوا ينتظرون الطعام حبيبي!

قلتُ لها في ذهول:

- القطط قلتِ أين هم؟

أردفت چوليا:

- مارك نعم القطط جميعهم بالأسفل ، حسناً الآن سأذهب كي أقوم بتحضير الطعام

ذهبت إلى الأسفل ومازالت جالس على الأريكة التي بجانب السرير حتى أردفت في صمت:

- ماذا يحدث معي؟ لماذا أنا متشتت هكذا أرى أشياء وأسمع أصوات وتلك الغرفة المقفولة!!

صرخت چوليا من الأسفل قائلةً:

- مارك.. مارك تعال هنا

ذهبت إليها وعندما وصلت أمام الغرفة تذكرت أن أقوم بفتح باب هذه الغرفة، وإن لم يفتح الباب اليوم سأقوم بكسره

- جوليا أنا جائع!

أردفت چوليا قائلةً في حزن:

- وأنا أيضاً، ولكن لا يوجد طعام غير الخبز والجبن، مارك سأذهب إلى السوق وأشتري بعض السلع حسناً هيَّا نأكل

انتهينا من الطعام وأخذت زوجتي الحقيبة وذهبتْ إلى السوق، وأنا ذهبتُ إلى الغرفة المقفولة كي أقوم بفتحها، أخذت معي بعض المعدات الثقيلة لفتح الباب، لقد تعبت لماذا لا يفتح هذا الباب؟ وصرخت بصوتٍ عالٍ قائلًا:

- لماذا لا تفتح يا هذا؟

لم تمّر دقيقة من حديثي حتى سمعت صوت يردد كلماتي ثانياً:

- لماذا لا تفتح يا هذاااا !!

لم أتحدث وذهبت إلى الخارج وجلست بجانب النافورة جلست أنظر إلى المنزل وتحدثت في صمت:

- ماذا يحدث بالضبط؟ لماذا هذا المنزل غريب ؟ لماذا؟

جاءت زوجتي من الخارج لتنظر إليَّ قائلةً:

- مارك لماذا تجلس هنا؟

لم أقل لها السبب الرئيسي وراء خروجي من المنزل ولكن أخبرتها:

- لا يوجد شيء كنت استنشق بعض الهواء حبيبتي!

نظرت إليَّ قائلةً:

- حسناً، هيَّا لندخل أريد ترتيب بعض الغرف وأيضاً ستقوم بمساعدتي أنتَ تعلم أنا مريضة قليلاً

نظرتُ إليها قائلًا:

- حبيبتي أعلم، وأنا لن أتركك وحدك

ذهبنا إلى الداخل ونظرت إلى المنزل جيداً عسى أجد من يردد كلماتي، ولكن بالطبع لم أجده، ذهبنا إلى بعض الغرف التي بالأعلى فهذا المنزل كبير يشبه القصور الملكية قليلاً، ثلاثة أدوار، ويوجد برج صغير بجانبه، غير الغرفة الخارجة في وسط حديقة المنزل، لون المنزل يشبه اللون الرمادي. أردفت چوليا قائلةً بكل تعجب:

- مارك لماذا تركت الباب هكذا؟ لقد قلت سابقاً ألَّا تنسى الباب، من الممكن أن تقفز القطط من النافذة حبيبي

نظرت إليها مبتسماً:

- أنتِ تخافين على القطط أكثر مني، چوليا اهدئي لن يحدث لهم شيء

ابتسمت چوليا ثم أردفت:

- أتمنى مارك ألا يحدث لهم شيء فهم صاروا أصدقائي

بعد ترتيب الغرف جاء الليل وظهر القمر الجميل بالسماء، ذهبت زوجتي لتحضير الحمّام كي أستحم قبل النوم، ولكن حينها سمعت صوتاً كالصراخ يأتي من الأسفل، نزلت ورأيت أركان المنزل جيداً ولم أجد

شيئًا، لكن خرجت وتفقدت غرفة القطط لا أستطيع الوصف الذي رأيته حينها، منظر بشع للغاية جميعهم قد تم ذبحهم، غارقون في دمائهم تعجبت من ذلك المنظر حتى صرخت بأعلى صوت قائلًا:

- چوليا.. چوليا تعالي هنا.. چوليا

جاءت زوجتي وتحدثت معي ثم أردفت:

- مارك لماذا تصرخ؟ ماذا حدث من فعل هذا مارك؟ من فعل هذا من قام بقتل القطط جميعهم؟ من؟

لم أتحدث معها ولكن ظلت چوليا تبكي قائلةً:

- من فعل هذا؟ من فرط بكم؟ لا توجد رحمة ما هذا؟

أخذت جميع القطط ودفنتهم جميعاً بعيداً عن المنزل وتركت زوجتي بمفردها في المنزل ولكن عندما عدت إلى المنزل قالت لي:

- مارك لماذا قتلت القطط ؟!

الفصل الخامس (قاتل)

سمعت منها تلك الكلمات العجيبة ثم نظرت إليها قائلًا بذهول:

- ماذا أنا من قتلتهم؟ ماذا تقولين چوليا ولماذا أفعل هذا؟

أخذت نفساً عميقاً قائلةً وهي تبكي وتكاد تصرخ:

- نعم أنتَ من فعلت ومن غيرك في المنزل، أنتَ كنت لا ترغب بجلوسهم معنا وكنت غاضب عندما أخبرتك أنهم سيأتون معنا في هذا المنزل أنتَ من فعلت !

لم أستطع تّحمّل كلماتها التي أغضبتني نظرتُ إليها قائلًا:

- أنتِ ماذا تقولين؟ هل جُننتِ؟ چوليا لم أفعل هذا أنا أخاف عندما أمسك السكين كي أقوم بتقطيع الخبز أو الخضروات تقولين لي أنت من قتلتهم! لم أفعل چوليا لم أفعل

صرخت بصوتٍ عالٍ قائلةً:

- أنتَ تقول لست أنا من قتلتهم حسناً ماذا كنت تفعل الليلة الماضية عندما كنا نائمين؟ لماذا تركت السرير وذهبت أين كنت مارك؟ أخبرني.

تعجبت كثيراً عندما قالت هذا ثم أجبتها:

- أنا لم أخرج من الغرفة الليلة الماضية لست أنا من قتلت القطط چوليا صدقيني

لم تصدق حديثي ثم أردفت:

- مارك لن أتحدث معك ثانياً، أنتَ قاتل مارك لا توجد رحمة بداخلك، ابتعد!

ذهبت زوجتي وهي غاضبة ولكن عند ذهابها رأيت شخص بجوار النافذة الخاصة بالغرفة المقفولة تلك وعندما اقتربت كي أستطيع تحديد من هذا الشخص لكنه اختفى! كيف دخل هذا الشخص الغرفة ؟ هل هي چوليا زوجتي أم شخص آخر؟ ذهبت إليها مسرعاً كي أعتذر منها وكي تتأكد أيضاً أني لست الفاعل ولكن عند ذهابي وجدت دماء كثيرة على الأرض، ماذا؟! كيف وصل الدم إلى المنزل تتبعت الدماء من أين أتت حتى وصلت إلى الغرفة المقفولة ومن الظاهر أمامي أن الدماء تخرج منها حاولت فتح الباب كثيراً ولكن فشلت، تركت كل هذا وذهبت إلى حبيبتي التي تقول لي أني قاتل، وتحدثت معها:

- چوليا أنتِ بخير الآن؟

ثم ردت:

- نعم مارك هل أنتَ جائع هل أقوم بتجهيز طعام؟

تعجبت من طريقة حديثها معي منذ قليل والآن! قلت لها:

- لا أنا لست جائع حبيبتي أنتِ، بخير أليس كذلك ؟

ثم أردفت:

- نعم مارك

نظرتُ إليها قائلًا:

- ماذا بشأن القطط لم أفعل هذا چوليا صدقيني

نظرت زوجتي إليَّ قائلةً:

- وماذا أفعل؟ أنتَ أم غيرك لن يعودوا عندما تعرف من الفاعل، لا تغضب مني أعتذر منك مارك

ابتسمت إليها قائلًا:

- لا تعتذري حبيبتي چوليا أنتِ كنتِ غاضبة لا عليكِ!

الفصل السادس (الباب)

لم أغضب من زوجتي حينها، لقد كانت غاضبة من موت القطط التي قامت بتربيتها وأنا أراعي هذا، مهما حدث تظل حبيبتي وزوجتي. قبل أن أخلد إلى النوم أخذت قرار أن أفتح باب الغرفة المقفولة تلك، لقد جاء الميعاد المناسب سأقوم بفتح الباب اليوم يجب أن أفتحه من الممكن أن تكون تلك الغرفة هي السبب وراء ما يحدث في المنزل الآن!

عند شروق شمس أشرقت الأفق، ذهبت إلى المطبخ وقمت بتجهيز طعام جيد وأخذته معي إلى الغرفة كي تأكل چوليا معي، وعندما اقتربت من الغرفة سمعت أصوات تأتي من الغرفة الغريبة، لم أهتم واكملت الطريق حتى دخلت عليها وهي نائمة ثم حاولت إيقاظها:

- چوليا حبيبتي، استيقظي چوليا لقد قمت بتجهيز الطعام هيّا

قامت ونظرت إليَّ كالقمر ثم أردفت:

- مارك صباح الخير لماذا أتعبت نفسك؟

نظرتُ إليها قائلًا:

- حبيبتي أنتِ مرهقة من ليلة أمس فقلت لنفسي أن أقوم بتحضير الطعام اليوم، فلنأكل أريد أن أفتح الغرفة المقفولة يا حبيبتي

نظرت إليَّ قائلةً:

- مارك أنا أقول ألا تتعب نفسك سيأتي النجار إلى هنا يوماً ما

حتى قلت لها بكل ثقة:

- لا حبيبتي أنا سأقوم بفتحها اليوم لقد أخذت قراري

ابتسمت چوليا ثم أردفت:

- لقد سمعت تلك الكلمات سابقاً تتذكر حبيبي

ابتسمت لها قائلًا:

- نعم اعترف وقد فشلت، ولكن يجب أن أقوم بفتحها اليوم، حسناً سأذهب أنا وأنتِ عندما تنتهين قومي بتبديل ملابسك سوف نخرج اليوم

ابتسمت قائلةً بكل سعادة:

- حقاً مارك، أين سنذهب اليوم؟

أجبتها قائلًا:

- لن أتحدث حتى تنتهي من الطعام بأكمله

ثم أردفت چوليا:

- حسناً لن يبقى شيء من هذا الطعام.

ذهبت إلى الغرفة وبدأت في تكسير الباب للمرة الثالثة، وأخيراً قمت بفتح الباب ولم أتخيل أن يفتح ذلك الباب، وإلى الآن أندم على اليوم الذي قلت فيه سأقوم بفتح الباب، لقد فتحته أخيراً لقد فعلتها هكذا تحدثت بصوتٍ عالٍ! حتى صرخت زوجتي بأعلى صوت تركت كل شيء وذهبت إليها، دخلت إلى الغرفة ونظرت إليها قائلًا بكل تعجب:

- ماذا يحدث؟ ما بكِ؟ ما هذا چوليا؟!

تحدثت بكل خوفٍ قائلةً:

- لماذا فتحت الباب؟ مارك لماذا فتحت الباب؟ ستندم مارك ستندم مارك!

تعجبت من حديثها قائلًا:

- ماذا من قال لكِ أني فتحت الباب؟ وماذا تقولين لماذا سأندم؟

لم تجبني على الأسئلة التي وجهتها إليها وتظل تقول:

- ستندم مارك، ستندم مارك!!

تركتها في الغرفة ثم ذهبت إلى الغرفة مرة أخرى ولكن عندما ذهبت، لم أجد الباب مفتوحاً !!

تحدثت بكل تعجب قائلًا:

- كيف حدث هذا!

صرخت بصوتٍ عالٍ قائلًا:

- لقد سئمت من هذا المنزل، أخذت بعض المعدات الثقيلة وقمت برميها في الخارج حتى جرحت يدي، أخذت الهاتف وذهبت خارج المنزل البائس وقمت بالمشي بين الشوارع حتى اقترب الظلام وشعرت بالحزن لتركي چوليا وحدها كل هذا الوقت، وعندما اقتربت من المنزل...

الفصل السابع (فعلت أم لم تفعل)

رأيت زوجتي أمامي ولكن هي لم تلاحظ وجودي، كنت بعيداً عنها قليلاً، رأيتها تقتل قطط الشوارع وتقوم بذبحها، تعجبت عندما تذكرت القطط التي قمنا بتربيتها وتعجبنا من موتها، ولكن طريقة القتل لا فرق بينهم، هل چوليا هي من قتلت القطط التي قمنا بتربيتها كما تفعل الآن؟

تحدثت في صمت:

- ماذا تفعل ولماذا تقتل القطط البريئة؟

غضبت من ذلك المنظر حتى أردفت بصوتٍ عالٍ قائلًا:

- چوليا ماذا تفعلين؟ چوليا!

لم تُلب النداء وظلت تمسك القطط الصغيرة تقتلهم بلا رحمة، حتى اقتربت منها قائلًا:

- ماذا تفعلين چوليا؟

اقتربت أكثر حتى اختفت زوجتي، تعجبت مما حدث، وماذا أفعل؟ ذهبت إلى المنزل مسرعاً كي أتأكد أن زوجتي لم تفعل شيئًا ثم أردفت عند دخولي إلى المنزل بكل تلهف قائلًا:

- چوليا أين أنتِ؟ چوليا؟

أردفت زوجتي من الأعلى قائلةً:

- أنا بالأعلى مارك ماذا تريد؟

ابتسمت عندما تأكدت أنها في المنزل ولم تقتل القطط تلك، سألتها قائلًا:

- چوليا هل خرجتِ من المنزل منذ قليل؟

تعجبت زوجتي ثم أردفت باستغراب:

- أنا لم أخرج، مارك أنتَ من خرجت وخالفت وعدك ولم نخرج معاً

نظرتُ إليها قائلًا:

- لقد نسيت چوليا غداً سنخرج أعدك

ثم أردفت چوليا قائلةً:

- مارك لماذا خرجت دون أن توقظني من النوم وتتحدث معي وأخبرني بخروجك؟

تعجبت منها قائلًا:

- چوليا لقد أخبرتك بالفعل وقمت بتجهيز طعام لنا أنتِ لا تتذكرين كل هذا؟

تغيرت ملامح وجهها قائلةً في ذهول:

- أنا لم أستيقظ مارك! وقلت عند عودتك سنأكل معاً لا تقل لي أنك أكلت وحدك

نظرتُ إليها قائلًا بكل تعجب:

- أنا جائع چوليا ولكن أنتِ لا تتذكرين شيئًا صحيح؟

أردفت چوليا بكل ثقة:

- مارك لم أستيقظ أبداً، لقد قلت لك هذا!

قمت بتجهيز طعام لنا وأكلت بعض الطعام معها مرةً أخرى، خرجت من غرفة النوم ووقفت أمام الغرفة المقفولة قائلًا:

- ماذا أفعل معكِ؟ لماذا أغلق بابك وأنا قمت بفتحه بكل صعوبة؟ هل أنتِ السبب في كل ما يحدث بالمنزل؟ سأعلم بالتأكيد!

أدركت بعد يومين أن زوجتي ليست بخير وتفعل أشياء غريبة، كوابيس لا تنتهي وعندما أستيقظ من النوم أنظر بجانبي وتظل جالسة في مكانها، من ليلة أمس، يومين وأكثر على هذا الحال، حتى أخذت قرار أن أتكلم مع والدتها لكي تأتي إلينا عسى تتغير الأحوال، ولكن ما حدث أسوأ مما كنت أتوقع إليكم ما حدث.

الفصل الثامن (العائلة)

أخذت الهاتف وذهبت إلى الخارج وكالعادة جلست بجانب النافورة وتحدثت مع والدتها وأيضاً والدتي وأبي، وأخذت القرار النهائي إما أن تستعيد چوليا طبيعتها أو ستحدث أشياء لن تنال إعجابهم! لم تمّر ساعات لأسمع طرقات على باب المنزل، فتحت الباب وجدتهم جميعاً معاً ثم أردفت:

- مرحباً بكم تفضلوا بالدخول، أهلًا أبي، مرحبًا أمي، أهلًا حماتي تفضلوا

أردف أبي بكل تعجب قائلًا:

- مارك لماذا جئت بنا إلى هنا الآن هل أنتم بخير؟

أضافت حماتي قائلةً بخوفٍ:

- مارك أين ابنتي چوليا؟ هل هي بخير؟ أتمنى ألا يحدث لها مكروه

شعرت بغمرة بداخل قلبي نظرتُ إليها قائلًا:

- أنا جئت بكم إلى هنا عندما مللت، أنتم تعلمون أني وچوليا لا نستعين بأحد في مشكلتنا، أنتم تعلمون هذا، ولكن جوليا ليست على ما يرام!

أردفت حماتي قائلةً بكل خوفٍ :

- ماذا تقول مارك أين ابنتي الآن؟ كيف حالها؟

نظرتُ إليها قائلًا:

- أريد من الجميع الهدوء چوليا نائمة ولا تعلم بوجودكم هنا، ولكن أريد منكم أن تنصتوا جيداً لما سأقول

أردفت أمي قائلةً:

- تحدث مارك ماذا حدث معكم؟

وبدأت بوصف الحالة التي تمّر بها زوجتي وتعجب الجميع عند سماع حديثي، حتى صرخت چوليا بأعلى صوت فزع الجميع وذهبنا إليها، لكن عندما دخلنا إلى الغرفة وجدناها جالسة على الأرض وبين يديها حبل يلتف حول رقبتها يصل الحبل إلى الأريكة حتى تعجب الجميع ثم أردفت حماتي:

- حبيبتي چوليا، ابنتي من فعل هذا؟ صغيرتي ما هذا الحال؟

أردفت زوجتي قائلةً بكل غمرة:

- أمي، أمي، مارك من فعل هذا لا تتركيني معه أمي لا تتركيني!

غضبت منها قائلًا:

- ماذا أنا لم أفعل شيئاً، چوليا أنتِ زوجتي لماذا أفعل ذلك؟

أردف أبي بكل غضب قائلًا:

- مارك كيف حصل ذلك هل جننت أنتَ تقول لم أفعل وهي تقول فعلت!

أردفت حماتي قائلةً بكل مكر:

- لن أتركِكِ، مارك لماذا فعلت هذا؟ ابنتي لم تفعل لك شيئاً، هل جننت؟

حتى نظرت إلى والدتي قائلةً:

- ألم تقولي لي أن ابنك لا يستطيع إغضاب ابنتي؟ انظري ماذا فعل!

تحدثت معهم قائلًا في ذهول:

- لا أنا لم أفعل هذا أنا أحب زوجتي، چوليا أنتِ من فعل بكِ كذا ومن قام بضربك هكذا حبيبتي؟!

نظرت إليهم قائلةً:

- مارك قد تغير كثيراً حتى أنه لم يترك القطط وشأنها وقام بذبحهم ليلاً! ومنذ يومين يقوم بضربي كثيراً خفت أن أخبر أحد منكم حتى لا يحدث مكروه لأحد، أمي خديني معكِ

أردفت والدتي قائلةً بكل تعجب:

- أنتم الإثنين جئتم إلى هذا المنزل كي لا يحدث بينكم مشاكل والآن أنظروا ما حدث لا نعلم من الصادق ومن الكاذب!

حتى أردفت والدة زوجتي قائلةً:

- ابنتي صادقة لا تكذب أبدا أنظري كيف أصبحت، أنظري، ابنتي لن تجلس في هذا المنزل يوماً بعد، هذا قرار نهائي مارك!

حتى أردف أبي:

- ماذا تقولين لن يحدث هذا سوف يكون كل شيء على ما يرام ستهدأ الأمور بينهم

نظرتُ إلى أبي قائلًا:

- نعم أبي لن يحدث شيء

حتى صرخت چوليا قائلةً:

- لا أريد الجلوس معه أمي لنذهب من هنا، حسناً أمي أنا خائفة منه سوف يقوم بضربي ثانياً!

أردفت والدتي قائلةً:

- عزيزتي چوليا أنتِ ماذا تقولين أنتِ لن تتركي المنزل صحيح؟

نظرت چوليا إلى أمي قائلةً بكل ثقة:

- سأذهب ولن أبقى

أخذت حماتي چوليا بعدما انتهت من ترتيب حقيبة زوجتي، حتى صرخت إليهم قائلًا:

- چوليا لن تتركيني صحيح؟ چوليا لماذا لا تتحدثين معي؟ چوليا

خرجت من المنزل رفقة والدتها ولم يبقَ في المنزل غير أبي وأمي، حتى نظر أبي إلى قائلًا:

- مارك أنا ذاهب وعندما تجد تفسيراً لهذا تحدث معي

ثم أردفت والدتي:

- مارك لا تحزن حبيبي بالتأكيد ستأتي چوليا مرة أخرى سأذهب اهتم بنفسك حبيبي وداعاً

ذهب الجميع حتى زوجتي چوليا، لا أعلم ماذا أفعل وحدي حتى راودتني فكرة فتح الباب المقفول، وهذه فرصة جيدة لا يوجد أحد بالمنزل.

الفصل التاسع (ما وراء الباب)

كما تعلمون أخذت المعدات، وحاولت جاهداً فتح الباب للمرة التي لا أذكرها، ونجحت في ذلك، فرحت كثيراً ولكن ندمت أيضاً، وقبل دخولي إلى الغرفة تذكرت چوليا عندما قالت لي: "ستندم مارك!" ولكن لم أهتم ودخلت بالفعل. لم أجد أحدًا سوى بعض الصور التي تملأ الغرفة؛ صور لامرأة تشبه الأميرات، بالفعل هي أميرة! وعندما وقفت في نصف الغرفة انشقت الأرضية حتى وقعت في حفرة أو مقبرة شيء يشبه ذلك! صرخت عند نزولي قائلًا:

- أنجدوني! هل من أحد للمساعدة؟

حتى أخذتني تلك الفتحة إلى مكان مظلم لا يوجد به شيء سوى الأخشاب المفحمة، والحيوانات الأليفة الغريبة التي لم أرى مثلها أبداً، حتى سمعت صوت أحدهم يقول:

- الملكة "فيليا" قامت بدعوة الجميع وبالتأكيد سأذهب، يوجد هناك الطعام والشراب والفتيات والفتيان سيكون حفلًا ممتع يا صديقي!

نظرتُ إليه قائلًا في تعجب:

- هل تتحدث معي؟

ثم أردف الغريب:

- نعم، ومن غيرك؟ أنتَ ذاهب إلى هناك صحيح؟

ابتسمت إليه ثم تحدثت في صمت: مما يقوله فذلك الرجل يقول ملكة وحفل ومن الظاهر أنه مجنون، لا يوجد ملكة يوجد رئيس الدولة وليس ملكة ثم حتى أردفتُ:

- نعم ولكن أنا لا أعلم الطريق أتأخذني معك؟

ابتسم الرجل ثم أردف:

- أ حقاً لا تعلم؟ هل أنتَ مجنون؟ ومن لا يعرف القلعة البيضاء!

تعجبت من حديثه قائلًا له:

- قلعة بيضاء اللون وماذا أيضاً!

ابتسم الرجل وتحدث في غرور:

- هناك حيث تجلس الملكة "فيليا" يا هذا، تحكم الجميع بشر وجن وكائنات لا حصر لها!

ابتسمت حين سمعت حديثه حقاً، وكنت أظن أنه مجنون ولكن لم يكن كذلك، لقد قال الصواب بالفعل أنا الآن بداخل قلعة بيضاء ويوجد حفل ممتع، ولكن تعجبت أكثر وأكثر عندما رأيت الحيوانات تتحدث مع البشر! والجن واقفون، كل جنيّ متجسد في شكل ما، وعندما رأيت المنظر ابتعدت عنهم وصار خوفي يزيد، حتى تحدث رجل من بعيد قائلًا:

- لن يذهب أحد من القلعة حتى يأخذ ما يريد، ويأكل ما يريد، ويشرب ما يريد، ذلك أمر من الملكة "فيليا".

ذهبت إلى أحد الرجال الواقفين بعيداً عن الحفل ثم نظرت إليه قائلًا:

- مرحباً

ثم أردف الرجل:

- مرحباً، هل تريد شيئًا؟

تحدثت معه قائلًا بكل ذهول:

- هل تعلم أين نحن؟ ولا تقل القلعة البيضاء!

تعجب الرجل قائلًا:

- نعم، وماذا أقول غير ذلك؟ نحن في القلعة البيضاء، بني ستنتهي الحفل قريباً وأنا وحدي هل تحمّل معي بعض الأكياس إلى المنزل؟

ثم نظرت إليه قائلًا:

- بالطبع

ذهبت معه، وبدأ يحكي لي عن القلعة البيضاء، وكيف حكمت الملكة "فيليا" وقال لي أنها تحكم بالعدل والمساواة بين الرجل والمرأة، وعندما وصلنا شعرت بالنعاس حتى شعر الرجل الغريب بهذا ثم أردف:

- بني أنتَ تريد النوم هل يوجد لديك منزل؟

ابتسمت له ثم أردفت غامزًا:

- كان يوجد والآن لا!

أخذ بيدي وذهبنا إلى منزله، وفتح باب الغرفة التي بها الأكياس المعبأة بالحنطة وأردف:

- حسناً سوف تنام هنا ولكن تأكد قبل نومك أن لا أحد هنا، من جن أو أنس أو حيوان، أنتَ تعلم ما سيحدث لو علمت الملكة أني أطرد الجميع من المنزل ستقوم بقتلي!

نظرت إليه قائلًا:

- لماذا تقتلك أنتَ حر تفعل ما تريد في منزلك!

تعجب من حديثي ونظر إليَّ قائلًا:

- أ لم تسمع أن الملكة أمرت الشعب بأن المنازل لا تغلق وكل روح لها الحق في أي منزل أو أي أرض! إن سمع أحد ما تقوله سوف يتم قتلك
- فهمت أنتَ رجل طيب اشكرك على المساعدة ويمكنك العمل والعيش معي أنتَ لا تشبه الباقي الحسالة

ذهب الرجل وتركني بالغرفة ولم يشغل تفكيري غير سؤال واحد، كيف حدث هذا؟ وكيف فعلت چوليا هذا بي؟ وأين أنا وماذا أفعل في تلك القلعة التي يوجد بها جميع المخلوقات؟ لم أستطع النوم حتى جاء الصباح ودخل الرجل المسن إلى الغرفة ومعه الطعام ثم قال:

- تفضل هذا طعامك عندما تنتهي أخبرني سنذهب إلى العمل اليوم

نظرتُ إليه ثم أردفت:

- حسناً سيدي سأنتهي على الفور

أكلت الخبز فقط ولم أقدر على ذلك الطعام الغريب، شيء سائل لونه أخضر ويزين وجه طبق الخضروات. وقفت وقمت بتنظيف ملابسي قائلًا:

- يا ليتني لم أفتح الغرفة، ويا ليتني أخذت بحديث زوجتي.

خرجت من الغرفة وكان الرجل ينتظرني بالخارج، وعندما وصلنا إلى العمل رأيت الأراضي الزراعية الجميلة والتي يوجد بها جميع المخلوقات أيضاً كلهم يعملون ويبتسمون فرحين بما يفعلون، حتى أردف الرجل المسن:

- بني تعال هذا موقع عملك، وكل ما عليك فعله هو أخذ الصناديق التي تمتلئ بالخضروات إلى العربة وكل يوم ستأخذ نصيبك من العمل الطعام الجيد والفواكه

ابتسمت إليه قائلًا:

- لماذا آخذ الطعام؟ أ أنتم لا تأخذون المال حق ما تعملون به؟

تعجب الرجل قائلًا:

- ماذا؟ يا بني نحن نأخذ الطعام الذي يكفينا فقط، تحرك هيَّا

بدأت بالعمل وكل ليلة عندما أنتهي من تحميل الصناديق يعطي لي الطعام الذي يكفيني ليومين أو أكثر، حتى جاء يوم الراحة، وتحدث الرجل معي قائلًا:

- بني اذهب اليوم إلى أي مكان تحبه يوجد الكثير من الأماكن الجميلة ولا تذهب بعيدًا عن هنا كي لا تتوه حسناً

خرجت من المنزل ولكن تعجبت كثيراً قائلًا:

- أين أذهب في القلعة البيضاء تلك؟ أنا لا أعرف غير الأرض الزراعية، وذلك المنزل الجميل الذي يوجد به الرجل المسن، يا ليتني أعود، لقد اشتقت إلى زوجتي چوليا والعائلة أيضاً

الفصل العاشر (حياة أفضل)

لم أعلم أين أذهب في يوم الراحة، لم أستطع أن أجد مخرجًا من تلك القلعة حتى وصلت إلى المكان الذي جئت منه، ولكن كان عبارةً عن أرض واسعة لا تصلح للزراعة أيضاً، وعندما اقتربت منها جاء رجل من خلفي قائلًا:

- أنت ماذا تفعل؟ ابتعد عن الأرض، ألم تسمع عن الوباء الذي ينتشر بسبب تلك الأرض، هل تريد الموت؟

تعجبت منه قائلًا:

- وباء ماذا؟

ثم أردف:

- وباء الطاعون يا رجل، ابتعد، هذا أمر من الملكة فيليا

ابتعدت عنه قائلًا في صمت:

- وباء؟ لا الأفضل أن أبتعد عنها

واكملت طريقي حتى وصلت إلى خان _ليس بعيدًا_ وجلست على أحد المقاعد حتى جاءت امرأة سمراء ترتدي ملابس غريبة ثم قالت لي:

- أهلًا بك هل تريد شيئًا؟

تمتمت محدثًا إياها:

- أنا، أنا نعم أريد بعض الماء

ثم أردفت:

- حسناً إليك ذلك لن أتأخر عليك، نعم لقد نسيت أن أخبرك يوجد هنا غرف الجميلة والتي يوجد بداخلها الهدوء والسكينة والطمأنينة أيضاً، هل تريد غرفة؟

تعجبت منها قائلًا:

- نعم ولكن ليس معي مال الآن

ابتسمت ثم أردفت:

- ماذا؟ لا تخاف إنه يوم الراحة لا نأخذ مقابلًا لأي شيء هنا، هذا أمر من الملكة فيليا سيدي.

ذهبت معها إلى الغرفة ولا أعلم لماذا قلت لها أريدها، ولكن عندما دخلت إلى الغرفة التي أخبرتني بها لم أرفع بصري عنها وعن جمالها، وجلست على مقعد خشبي ونظرت إليَّ قائلةً:

- هل تريد شيئًا آخر قبل ذهابي؟

ثم أردفت لها بكل حذر:

- نعم أريد أوراقًا وأقلامًا أيضاً!

نظرت إليَّ قائلةً بكل ذهول:

- حسناً، ولكن هذا يوم الراحة لماذا لا تستمتع بوقتك؟ لكن إليك ما تريد

غابت قليلاً ثم عادت ومعها الأوراق والأقلام، أخذتهم منها وبدأت في كتابة كل ما حدث معي منذ ذهابي أنا وزوجتي چوليا إلى المنزل، وذكرت أيضاً الغرفة المقفولة وما حدث عندما فتحت باب الغرفة الغريبة، _الفعل الذي ندمت على اقترافه إلى الآن_ حتى وصلت إلى آخر الحكاية قائلًا: "هل اختفى العالم الذي كنت أعيش فيه أنا وزوجتي؟" "وكيف أعود إلى عالمي؟ وكيف أخرج من تلك القلعة؟" "من الواضح أن العيش هنا أفضل من العالم الذي كنت أعيش فيه".

وفي الختام، أنا أعيش مع مخلوقات عديدة، الرجال، النساء، الأطفال والملكة فيليا التي تحكم بالعدل والمساواة أيضاً، لا أنكر أن الحياة بداخل القلعة أفضل، ولكن أشتاق إليكِ چوليا، عسى أن تقرأ هذه الأوراق التي كتبتها في يوم واحد وهو يوم الراحة، لن ألومك چوليا أبدًا على ما فعلت بي، وكل الاتهامات التي وجهتِ إليَّ، ولكن أنا أحبك چوليا وآخر كلماتي هي: أشكر الغرفة المقفولة التي أتت بي إلى القلعة البيضاء.

هل الحياة مع المخلوقات الغريبة أفضل من العيش مع البشر؟

تمت بفضل الله

كاتبة // مريم رضا